الرواية العراقية رصدت الخراب العراقي في أزمان الديكتاتورية، والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف

سلام إبراهيم

مدخل

طغى التيار الواقعي في الكتابة القصصية والروائية العراقية منذ نشأة القصة والرواية في عشرينات القرن الماضي، إذ كان غالبية الكتاب يؤمنون بالفكر الماركسي ويبشرون بأفكار الاشتراكية في مقالاتهم التي نظّرت وحددت الرؤيا الفكرية التي ستسود وتميز لاحقا النص الروائي العراقي دون غيره من النصوص العربية بالمقارنة (مثلا مع تطور الرواية في مصر حيث ظهرت روايات تاريخية، روايات رومانسية، وروايات اجتماعية تصور الواقع الاجتماعي المصري في زمنها)، بارتباطه المباشر بتاريخ العراق وأحداثه السياسية وتحولاته العنيفة، سواء من خلال تيمة الرواية أو شخصياتها وطبيعة الحكاية التي ترويها للقارئ. هذا التوجه تجسد من خلال انهماك رواد النص القصصي والروائي بالعمل السياسي الميداني المباشر وبالكتابة التبشيرية وأخذ دور الداعية والمصلح الاجتماعي والناقد في مقالات نشرت في الصحافة وقتها، تناقش الأدب وطبيعته وعلاقته بالمجتمع مما بلور ورسخ هذا التوجه الذي سيظل سمة ملازمة للأدب العراقي حتى الآن.

هذه السمة وَسمت النص النثري العراقي منذ النشأة، فقد تحمل عبء النهضة، وغلب عليه في مراحله المبكرة الصفة التعليمية والدعائية في ميدان الاجتماع والسياسة التي ستظهر بشكل أكثر وضوحا في الفترة ما بين الحربين العالميتين حيث زاد واحتدم النضال الوطني من أجل الاستقلال وفك الارتباط بالاستعمار الإنكليزي.

تأخر ظهور الرواية في العراق مقارنة بالقصة القصيرة والشعر والفنون الأخرى، فمنذ صدور رواية – جلال خالد – لمحمود أحمد السيد 1928 وحتى صدور أول رواية أسست للرواية الفنية العراقية – النخلة والجيران - لغائب طعمة فرمان 1966 لم نحصِ سوى ثلاث روايات غير ناضجة فنياً هي:

"مجنونان" لعبد الحق فاضل 1939. "الدكتور إبراهيم" لذي النون أيوب 1939 و"اليد والأرض والماء" 1948 لذي النون أيوب أيضاً.

وهنا من الممكن الإشارة إلى قصة فؤاد التكرلي الطويلة – الوجه الآخر- التي لها مقومات الرواية الفنية القصيرة والتي صدرت ضمن مجموعته القصصية التي تحمل نفس الاسم1960.

علاقة الرواية بالصراع السياسي الدموي في العراق

قبل ظهور أول رواية عراقية ناضجة فنيا كان العراق المضطرب سياسياً منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى استلام العسكر السلطة بانقلاب 14 تموز1958 الذي سجل ظهور أول مليشيات الأحزاب (المقاومة الشعبية التابعة للحزب الشيوعي العراقي) قد دخل صراعا دموياً على السلطة السياسية بسلسلة محاولات انقلابية فاشلة على سلطة – عبد الكريم قاسم 1958 – 1963 – تبعها حمامات دم وسحل أجساد المتآمرين في الشوارع في تقليد بدأته السلطة الوطنية متمثلة بسلطة الضباط الأحرار – الجيش - بمذبحة العائلة الملكية في قصر الرحاب تموز 1958 وسحل جثة الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء – نوري السعيد - في شوارع بغداد، ليتوج العنف في ذروة جديدة أشرس وقعا ودموية بانقلاب 8 شباط 1963 وظهور مليشيات حزب البعث (الحرس القومي) التي نكّلت بالشيوعيين اغتصابا وقتلا تحت التعذيب، واغتيالا في الشوارع ودفناً وهم أحياء والمتبقي غصت بهم السجون والمعتقلات هذا التاريخ الدامي سيتردد صداه في الرواية العراقية لاحقا. أعقبها انقلاب تشرين الثاني 1964 الذي

أزاح سلطة البعث الذي سرعان ما عاد في انقلاب جديد 17 تموز 1968 ليطور سلطة دكتاتورية تصنعت الانفتاح على القوي السياسية المختلفة فتحالفت معها واحدا بعد الآخر لتصفيها وتنفرد في سلطة تركزت بشخص الدكتاتور – صدام حسين – الذي أستولي بحفلة تصفية دموية داخل حزبه عام 1979 على رئاسة الجمهورية ليعد لحربه الطويلة مع إيران 1980 – 1988 ثم احتلاله الكويت 1990 ليدخل العراق في حرب غير متكافئة 1991 انتهت بحصار اقتصادي طويل نخر في بنية المجتمع العراقي وخربه من الداخل تخريبا مضافا إلى تخريب القمع لينتهي باحتلال العراق وتسليمه إلى القوات الأمريكية والمتحالفة معها ليدخل في دوامة عنف جديدة مستمرة حتى الآن، وما رافق هذا التاريخ الدموي من قتل ومقابر جماعية وإعدامات ميدانية في جبهات الحرب والملاعب والساحات واختفاء مئات الآلاف من الشباب إلى الأبد.

التاريخ العراقي الدموي خلال الثلاثين سنة المنصرمة جعل من الإنسان العراقي مشغولا بمحنة النجاة بنفسه من موت فيزيقي ظل يتهدده في كل لحظة قادما من سُوقِهِ إلى جبهات الحرب أو ضياعه في المعتقلات والسجون، أو الموت جوعا زمن الحصار.

<u>كيف انعكست هذه الظروف على الروائي والرواية حصرا؟!.</u>

وُلِدَتْ بعد مخاض طويل وعسير أول رواية عراقية مستكملة شرطها الفني بصدور – النخلة والجيران –[1] لغائب طعمة فرمان رواية متعددة الأصوات تناولت واقع بغداد أيام الحرب العالمية الثانية من خلال حياة مجموعة من الناس الفقراء في حي شعبي وسط بغداد، أعقبها برواية – خمسة أصوات –[2] التي تناولت فترة الخمسينات ومخاضها الفكري والسياسي والتي شهدت احتدام الصراع الذي توج بولادة النظام الجمهوري على يد العسكر عبر خمسة أصوات في الوسط الثقافي والصحفي. ثم أعقبتها (لنفس الروائي الذي سينفرد بتثبيت أركان الرواية العراقية الفنية) – المخاض – [3] التي تناولت العراق بعد 1958 من خلال مغترب يعود إلى بغداد بعد غربة 5 سنوات فيجدها قد تبدلت والحكاية حكاية الكاتب نفسه الذي عاد

إلى العراق ولم يمكث سوى عام واحد ليعود إلى موسكو ويبقى فيها حتى وفاته 1991. ثم رواية – القربان –[4].

ومعظم هذه الروايات عنت بتصوير الأجواء الشعبية واستخدمت اللهجة العراقية الدارجة في الحوار، ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الروايات كتبت في المنفى أثناء فترة أقامة كاتبها في موسكو بمعنى توفر ظروف استقرار نسبي منحه القدرة على تأمل التجربة والكتابة عنها. وفي هذه الفترة صدرت أيضا روايات لكتاب شباب ليست ذات أهمية تذكر عدا روايتي – الوشم – [5] لعبد الرحمن مجيد الربيعي –، و–القلعة الخامسة –[6] لفاضل العزاوي التي تحكي قصة موظف بسيط يأتي من كركوك في أجازة، فيعتقل وهو في مقهى وسط بغداد بينما كان ينتظر العثور على قواد ويحلم بقضاء ليلة مع عاهرة، ليسجن مع الشيوعيين ويتحول إلى سياسي كاشفا طبيعة حياة السجن ونمط تفكير الشخصية الحزبية في نظرتها القاصرة إلى الحياة. رغم تواضع الرواية من حيث الصوغ الفني ومحدودية شخوصها وتصنع لغتها إلا أنها أسست لرواية السيرة التي ستتدفق لاحقاً.

فيما كان العراقي مشغولا بالحرب التي أشعلها الدكتاتور مع إيران وحملة تبعيث المجتمع العراقي قسرا بتوقيع المواطن على المادة – 200 – التي تحكمه بالإعدام سلفا فيما لو نشط سياسيا في حزب غير حزب البعث صدرت رواية – الرجع البعيد –[7] لفؤاد التكرلي المختلفة بنية وصوغا فنيا عن نصوص – غائب فرمان – إذ عنت بالبعد الداخلي لشخصياتها المنتقاة من بيئة مثقفة مشاركة بالصراع السياسي الذي احتدم بعنف بين القوى القومية والماركسية عقب 14 تموز 1958 معتمدة التحليل النفسي للشخصيات فألقت الضوء على تمزقها الداخلي مضاف إلى رصدها لمرحلة مهمة من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي المرتبط بشيوع العنف بشكل سافر.

في ظروف القمع والحرب تلك كان من المستحيل الحديث عن الكتابة الروائية ناهيك عن تخيل روائي عراقي يجلس إلى طاولة الكتابة ليتأمل ويكتب. فقد عانى كاتب الرواية أو من كان

يحاول كتابتها ما كان يعانيه العراقي من تهديد مباشر لكينونته، فأدى ذلك إلى هجرة كبيرة لمبدعي العراق من ضمنهم الروائيون. علماً بأن أعداداً كبيرة ممن سيكون لهم شأناً في كتابة النص الروائي الجديد كان قد هاجر في سبعينيات القرن الماضي لأسباب مختلفة أذكر أبرزهم، الروائي فاضل العزاوي، عالية ممدوح ، سلام عبود، هيفاء زنكنه، عارف علوان، برهان الخطيب.

بينما أدت ظروف القمع الشديد قبيل الحرب في أوج حملة تصفية المعارضين إلى هجرة أعداد أخرى، أذكر منهم الروائي زهير الجزائري، سليم مطر، علي عبد العال، نجم والي.

تبعهم من اضطر إلى الهرب من جبهات القتال ملتحقا بالحركات المسلحة في جبال العراق أذكر أبرزهم؛ الروائي جنان جاسم حلاوي، شاكر الانباري، حميد العقابي، وكاتب هذه السطور.

من الجدير بالذكر أن غالبية الكتاب المذكورين كانوا وقت هجرتهم غير مكرسين كروائيين فالبعض منهم لم ينشر نصا والبعض الآخر لم يصدر بعد نصوصه الأهم.

أعقب هذه الهجرة هجرة أخرى حدثت عقب احتلال الكويت وفترة الحصار الاقتصادي لعدد من الروائيين من أبرزهم فيصل عبد الحسن وهدية حسين وعلي بدر وسنان أنطوان.

أدت هذه الظروف إلى ولادة نصيين عراقيين: نص مكتوب تحت ظروف القمع (زمن الدكتاتور)، ونص مكتوب في ظروف الحرية في المنفى، ولكل نص سماته الفكرية والفنية كما فيه الغث والسمين، ووفق هذا التقسيم من الممكن النظر بموضوعية للنص الروائي وطبيعته.

1 – نص مكتوب تحت ظروف القمع

ظروف القمع والحرب أفرزت:

أ – **روايات الحرب** وهي روايات مجدت قيم الحرب والموت والوطنية الزائفة وأعرضت عن عذابات الإنسان في محنة تهدد كينونته وهذا يجده القارئ والمتابع في سلسلة روايات وقصص قادسية صدام[8]، وهي نصوص لا قيمة فنية لها فلا توجد في تاريخ الإنسانية حرباً تجعل الإنسان سعيدا بموته وفرحاً بفراق الأحباب وتجرع الألم والرعب كما صورته تلك النصوص.

ب – نص التجأ إلى التاريخ والأسطورة والرمز منشغلاً عن هموم العراقي في محنته زمن الدكتاتور متغرباً عن زمنه كنصوص محمد خضير في كتابه - بصرياثا[9] – و محمود جنداري في – الحافات[10] - . أو جعل من العراق في أول نشوء دولته الحديثة ميدانا كما في – قبل أن يحلق الباشق – [11] لعبد الخالق الركابي في رحلة شخوصها الباحثة عن الهوية لكنه سيلجأ إلى الغموض والإبهام في رواياته اللاحقة.

فقد تعذرت الكتابة الواضحة بدرجة متزايدة مع شدة القمع فكانت أحداثها غامضة وشخوصها أكثر إبهاماً لا يعرف القارئ ما تريده رغم أنها تبدو مهمومة بالإنسان لكنها لم تفصح عن طبيعة ذلك الهم أو بأدق شَغَلَتهُ بهموم بدت بعيدة عن واقعه حيث كان يسحق يوميا في جبهات القتال وفي والمعتقلات والسجون كروايتيه – الراووق – [12] و – من يفتح باب الطلسم – [13] ولطفية الدليمي في روايتيها – من يرث الفردوس[14] و – خسوف برهان الكتبى[15]. نستثني من ذلك روايتي - بيت على نهر دجلة – [16] و - صراخ النوارس –[17] – لمهدي عيسى الصقر – اللتين تعرضان لتداعيات الحرب على الإنسان والعلاقات الاجتماعية بطريقة رمزية دون الإشارة الواضحة للأسباب السياسية.

ج - **نص مبهم لا تفهم شيئا عند قراءته** فبدا مجرد تراكم أحداث أفقي وإنشاء غامض لا تستطيع قراءته كروايات طه حامد الشبيب[18] وروايات أحمد خلف[19] نصوص تروي أحداث باهتة غامضة لا تقول شيئاً.

الروائي تحت ظل الدكتاتور يعاني لحظة الكتابة من رقيب داخلي خوفا، فالكلمة محاسبة وقد تؤدي إلى حتفه كما حدث للروائيين محمود جنداري وحسن مطلگ، مما أبهت النص وجعله يتناول كل ما هو غير جوهري في التجربة منشغلا بتفاصيل غير مهمة، تاريخ قديم، هموم

اجتماعية عادية لا محل لها وسط مواجهة الموت اليومي، حكاية لا تمت إلى الواقع بصلة، مما أثر على الصوغ الفني فبدت واهية البنية، مرتبكة الصوغ، غير ناضجة يستطيع القارئ أو الباحث أن يجدها في الكم الهائل من الروايات التي صدرت عن دار الشؤون الثقافية الرسمية في تلك الفترة مما لم نُشِرْ إليه لضيق المساحة.

2 – نص مكتوب في المنفى

بالمقابل نشأت وتطورت الرواية العراقية في المنفى منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي بوتيرة سريعة بلغت ذروتها في بداية الألفية الثالثة وعادت من السعة بحيث تحتاج إلى من يتفرغ لمتابعتها، إذ من الملاحظ عدم وجود ناقد أو دارس عراقي متخصص يتابع هذه الظاهرة المهمة، وما كتبه بعض النقاد عنها يعد مروراً خجولا أمام الكم الروائي الذي صدر ويصدر[20].

ومن سمات نص المنفى:

أ - أنشغل النص في تقليب محنة العراقي زمن الدكتاتور والحرب، إذ وفرت فسحة الحرية في المنفى كتابة نصوص واضحة وصريحة عن عذابه وخوفه وهلعه ومقاومته ومعاناته وهو يواجه الموت يوميا، نصوصاً كان من المستحيل كتابتها في ظروف العراق وقتها، كنصوص كلٍ من: شاكر الأنباري[21] في رواياته، الكلمات الساحرات، ألواح، ليالي الكاكا، بلاد سعيدة، نجمة البتاوين. جنان جاسم حلاوي[22] في رواياته، ياكوكتي، ليل البلاد، دروب وغبار، أماكن حارة. عالية ممدوح[23] في حبات النفتالين، الغلامة. سلام عبود[24] في أمير الأقحوان، ذبابة القيامة. نجم والي[25] في الحب في حي الطرب، مكان أسمه كميت، تل اللحم، صورة يوسف، ملائكة الجنوب. زهير الجزائري[26] في حافة القيامة، الخايف والمخيوف. سليم مطر[27] في امرأة القارورة، التوأم. فاضل العزاوي[28] في آخر الملائكة، الأسلاف. حمزة الحسن[29] في سنوات الحريق، الأعزل. سنان أنطوان[30] في إعجام، وحدها شجرة الرمان. محمود سعيد[31] في نهايات النهار، قبل الحب.. بعد الحب. برهان الخطيب[32]. وكاتب هذه السطور في رواياته[33]، رؤيا الغائب، الإرسي، الحياة لحظة، في باطن الجحيم.

وجلَّ هذه النصوص تناولت العراقي من خلال روايات السيرة الذاتية للكّتاب الذين خاضوا غمار تجربة الاعتقال والحرب كجنود أو ثوار، أو من خلال العودة إلى تاريخ العراق القريب لمعرفة مسببات ما آل إليه العراق من خراب وتدمير وسنتناول نماذج منها أيضا، فكانت سجلاً أدبيا حياً لتاريخ العراق الحديث صورت ما تتحاشاه كتب التاريخ المهتمة بتدوين الأحداث العامة وتداعياتها ومذكرات السياسيين التي تحاول تجميل ما يحدث وتجاهل عذاب الفرد.

ب - أضافة ثيم جديدة للنص الروائي العراقي والعربي؛ فلأول مرة تتناول النصوص تجارب الجندي العراقي وعذابه أثناء خدمته في المؤسسة العسكرية زمن السلم والحرب، إذ كان هذا الموضوع من تابوات الكتابة في الأوطان العربية إلا من زاوية الدفاع عن الوطن كما هو حال النص المكتوب تحت ظروف الدكتاتورية في العراق، أو ما كتب في أعقاب حزيران 1967 عن معاناة الجندي العربي وعذابه لخسارته الحرب مع إسرائيل. بينما كشف النص العراقي همجية المؤسسة العسكرية التي قادت العراق إلى الخراب، وهذا ما سنلقي الضوء عليه لاحقا في قسم البحث التفصيلي.

ج - العديد من النصوص تناولت محنة المنفى والغربة بعد تشرد أكثر من خمسة ملايين عراقي موزعين في بقاع العالم يعيشون في محيطات ثقافية غريبة عليهم أدت بالضرورة إلى زعزعة واضطراب القيم والعادات والتقاليد التي يحملونها من بيئتهم الثقافية، ومعاناة جيل وُلِدَ وكبر في المنفى له همومه المختلفة.

صدرت العديد من الروايات تيمتها الجوهرية مأزق المنفى وتداعياته الاجتماعية والنفسية من أبرزها؛ رواية عندما تستيقظ الرائحة[34] لدنى طالب. أقمار عراقية سوداء في السويد[35] لعلي عبد العال. موطن الأسرار[36] لشاكر الأنباري. المحبوبات[37] لعالية ممدوح. تحت سماء كوبنهاجن[38] لحوراء النداوي. زنقة بن بركة[39] لمحمود سعيد. هذه الثيمة ونماذجها لا يتسع الحيز المسموح لنا في هذا البحث بتناولها.

د - الحرية التي تمتع بها الروائي العراقي والاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية والإطلاع على أنماطها الثقافية ولغاتها انعكس على لغة وبنية النص الروائي وبالتالي أسلوبه إذ عاد

واضحاً لا غموض يقتل المعنى فيه، متنوع الأساليب والصوغ الفني المتراوح من بنية نص تقليدي إلى قصى أشكال التجريب.

هـ - تَمَيّز النص الروائي العراقي في المنفى لا بتجاوز التابو السياسي فحسب بل حفر في تابو الأعراف والتقاليد والقيم العراقية الشكلية المبالغ في صرامتها فجاءت النصوص جريئة كشفت عن تكوين الشخصية العراقية المزدوجة بين ظاهر عنيف شديد التمسك بالقيم وداخل يبيح الكبائر نجد ذلك في الضلع[40]، وأصغي إلى رمادي لحميد العقابي. الغلامة[41] والتشهي[42] لعالية ممدوح. يا كوكتي لجنان جاسم حلاوي. وأقمار عراقية سوداء في السويد لعلي عبد العال. عندما تستيقظ الرائحة لدنى طالب. الإرسي والحياة لحظة لكاتب هذه السطور.

الحرب والعراقى الباحث عن الخلاص فى روايات السيرة:

في التطبيق العملي سنتناول في البدء بعض تجارب الكّتاب الذين خاضوا تجربة جبهات الحرب في نصوصهم التي جاءت كشكل من أشكال السيرة الذاتية الروائية، أو رواية مستمدة من تجربة كاتبها الحية، ولضيق المجال سأتناول نماذج منها، وهذا لا يعني أن النماذج التي سوف لا أتناولها أقل أهمية بل أنها تحتاج إلى بحث منفصل.

تشترك النصوص الروائية العراقية المكتوبة عن الحرب من قبل جيل الكتاب الذين سيقوا إلى الجبهات كجنود ورأوا أهوالها، ثم هربوا ملتحقين سراً بالحركة المسلحة في جبال العراق أو هربوا إلى دول الجوار في بنية الشخصية الروائية فهي شخصية مسالمة تبتلي بخضم صراعات سياسية دموية، تبدو شبه قدرية بين السلطة والمعارضة، السلطة والناس، ثم الحرب التي أشعلتها السلطة مع إيران والكويت، هذه الشخصية الدرامية التي لا تبغي من الدنيا غير السلامة ـ قاسم مشترك الشخصية العراقية منظوراً إليها من زاوية حيادية غير أيديولوجية ـ تجد نفسها في الاحتدام العويص تسلك سلوك الطريدة الفارة من موتٍ يلوح أينما حلت، هذا الاستنتاج تبلور بعد تراكم العديد من النصوص لكتاب مختلفين تشترك بنفس نمط الشخصية الروائية وهي تسرد لنا تجربتها في المخاض المذكور والتي تبدو من خلالها أن مجرد

استمرار وجودها الفيزيقي يعد أعجوبة. الشخصيات الروائية التي أشرت إليها حكايتها هي نفس حكاية كاتبها، الجندي في الجبهة، أو الذي على وشك السوق والذي تدبر بهذه الطريقة أو تلك أمر هروبه إلى ما كان يظن به بر أمان سواء إلى الثوار في الجبل أو إلى إيران عبر خطوط القتال، أو يقع أسيراً لدى الحركات المسلحة في جبال العراق.

وتشترك أيضا في أن التخييل الروائي ينهض وينبني من تجربة فعلية لكاتبها فيلملم الواقعة الحقيقية بانتقاء ما يصلح من عناصرها ويولفها في وحدات سردية تؤلف جسد النص وتخلّق ثيمته.

أولا:

رواية - ليل البلاد –[43] وتصوير جحيم العراق بالكلمات

رغم أن الكاتب حاول من خلال السرد بالضمير الثالث وتعمد حشر أسمه في متن النص، بالتعليق على الشخصية واحتمال أن يكتب عنها كاتب مثل - جنان جاسم - رواية مستقبلاً، للإيحاء بحيادية الراوي، لكن وجهة نظر السارد وبنية النص والشخصية وطبيعة مسار الحكاية الروائية والهوامش الكثيرة التي ترسم خريطة الأمكنة جغرافياً، واللهجة لغوياً، كل ذلك جعل من النص سرداً لسيرةٍ ذاتية مستعادة لاحقاً لتجربة مبدعٍ نجا من موتٍ أكيد، ومن هنا تأتي أهمية نصوص جنان جاسم الروائية. فما يميزها هو الصدق في الكتابة وحرارة تجربته الدرامية التي خاضها بما تحمله من مخاطر؛ موت واعتقال وجوع وعذاب وتشوه، حتى أنه تخيل ما يصير إليه لو فشل في عبور دجلة إلى الضفة السورية في أواسط ثمانينات القرن المنصرم كما حدث لشخصيته المحورية - عبد الله - الذي يسقط في اليأس والخواء إلى حدود عودته سراً إلى البصرة وإلى بيت أهله الذي وجده خراباً ليمكث فيه كائناً مشوهاً بوجهٍ أحاله حريق القصف إلى ما يشبه قطعة بلاستك تجمدت بعد أن أذابتها النيران في سرداب تحت بيت الطفولة المهدم لحين دخول القوات الأمريكية مدينة البصرة في حرب الخليج الثانية، فيخرج لتفزع من هيئته الممسوخة جنود الاحتلال الذين لا يجدون سواه في البصرة الخاوية.

بنية النص تقليدية أي أن الكاتب سعى لبناء الحكاية بشكل متدرج له بداية واضحة ووسط ونهاية بفصول الرواية البالغة سبعة وثلاثين وخاتمة، التي هي حكاية العراقي ـ عبد الله ـ فنجده في الفصل الأول يعود إلى أهله في البصرة بصحبة عاهرة كردية التقطها من ساحة الميدان، وجلبها معه مدعياً أنها خطيبته، ونعرف أنه سيق جنديا إلى جبهات الحرب بسبب طرده من الكلية لكثرة غيابه، في الفصل الثاني تفاصيل مراجعته إلى دائرة التجنيد في البصرة، وفي الفصل الثالث سنلاحق تفاصيل التحاقه بمركز التدريب من الحلاقة واستلام الملابس وطريقة الأكل ووصف الأبنية، القاعات والسجن وأوقات التدريب والنزول، في الرابع نطل على عالم سجون الوحدات العسكرية العاج بالمتمردين من هاربين ولوطيين وأشباه مجانين وما يجري من تفاصيل ضرب وقتل وحالات عشق بين المسجونين كما حدث في الفصل الخامس حينما يقتل أحدهم زميله بسبب صبي جميل يتنازعان عليه. وهكذا تتدرج حكاية الرواية حتى نهايتها المأساوية بعودة ـ عبد الله ـ المشوه شبه المجنون إلى البصرة التي استحالت خراباً حسب منطق النص.

يرسم لنا السارد بالضمير الثالث تفاصيل دقيقة عن حياة العراقيين البائسة المسوقين قسراً كجنود في مؤسسة تدير القسوة والقتل حيث يجري نزع كرامة الجندي بممارسة القسوة بمعناها المطلق الراسخة في المؤسسة العسكرية العراقية بنظام عقوبات وَهَرِمٍ مخيف يجعل من الجندي يشعر بضآلته، هذا ما شعر به عبد الله وهو في دائرة التجنيد قبل سوقه، وفي الوحدة العسكرية حينما يسجن لمخالفة واهية، فيُضربون بقسوة وكأنهم أعداء. ويقوم ضابط الخفر بسحقهم تماماً في مشهدٍ مرعب بقسوته:

(فرز عبد الله وأوقفه حذاء الحنفية، جنب المرحاض، ثم فرز جندياً آخر هو حسين أنجيلا وأوقفه حدّ عبد الله.. صرخ: استرح! .. استراحوا.. استدار وسحب قطعة الخيش التي تستر المرحاض، وأمر: خطوة إلى الأمام!. تقدم عبد الله وحسين خطوة واحدة. ـ أركعا!. ركعا. : ضعا رأسيكما في المرحاض!. ترددا، سارع أحد شرطة الانضباط داخلاً ليدوس، على التوالي، ببسطاله على ظهريهما حاشراً جسديهما، دافعاً إياهما صوب الفتحة العريضة المملوءة

خراءً، حيث يتغوط السجناء على جانبيها أيضاً، جعل عبد الله يتقلص ويتقيأ، فيما الشرطي يضغط ببسطاله على رأسه المدسوس الآن تماماً في الفتحة المرحاضية) ص89

يُجَرد الجندي في المؤسسة العسكرية من بقايا كرامته، متحولاً إلى كائن مفزوع ينفذ الأوامر بدقة خوفاً من أنظمة العقاب الرهيبة قبل أن يدفع به إلى الجبهة.

في المفصل الثاني من الرواية ينتقل بنا السرد إلى تفاصيل ما يجري في جبهات الحرب من معارك دامية ملاحقاً حركة ـ عبد الله ـ في الخنادق ومصوراً بدقة صور الموت والأنين والأجساد المتروكة عقب هدوء المعارك في الخنادق والعراء:

(إن ما روعه فعلاً هو منظر الجثث التي ما أنتبه إليها في الظلمة. كانت الأجداث البشرية مرمية بعضها فوق بعض مقطعة الأوصال، فضغط قنابل المهداد وشظاياها مزقها ودمجها فبدت جسماً واحداً برؤوس وأذرع مشمورة إلى كل ناحية يشدها الدم والتراب والطين والملابس الكاكية المخزوقة والخوذ المخسوفة والمثقوبة والرشاشات المكسورة ونصف المطمورة) ص 166.

تتلاحق الفصول عارضةً أدق التفاصيل في حياة جنود الجبهات اليومية وقت اشتداد المعارك وهدوئها، مضمناً العديد من بيانات القيادة العسكرية العراقية التي تبث بحماس عن سير المعارك مسجلا بالتفصيل أهوال الحرب العراقية الإيرانية. هذه الفترة مفصلية في تاريخ العراق ساهمت بتشويه الإنسان العراقي وبدلت مصائره وما مصير ـ عبد الله ـ المأساوي سوى التعبير الفني لهذه الثيمة التي جسدها الكاتب في نسيج ليله الطويل.

في المفصل الثالث من النص ينتقل بنا السرد إلى أجواء حركة المعارضة المسلحة اليسارية والتي خاضت الكفاح المسلح جنباً إلى جنب الحركة القومية الكردية من خلال وقوع الشخصية المحورية ـ عبد الله ـ أسيراً لدى الحركة المسلحة بعد نقله بسبب إصابته، من جبهات القتال إلى شمال العراق فنطل على تفاصيل حياة رجال الفصائل المسلحة موثقا لتاريخ معارك دامية جرت بين فصائل الثوار أنفسهم التي حدثت في عام 1983 بين جماعة جلال طلباني (رئيس الجمهورية الحالي) من جهة ومسعود البرزاني (رئيس ما يسمى إقليم كردستان) والشيوعيين

من جهة أخرى. يجد - عبد الله - نفسه وسط تلك الأهوال تائهاً مطارداً بين الثلوج - كحاله في الجبهة عندما يضيع عن وحدته - إلى أن يعثر على الشيوعيين في إحدى قرى إيران الحدودية. يصاب في المفصل الختامي بقصفٍ جوي على مواقع الثوار فيتحول إلى مسخ. ثم يفشل في عبور دجلة بعد أن قرروا بعثه إلى موسكو للعلاج. فيتسلل عائداً إلى البصرة ليعيش شبحاً بين أنقاض بيت طفولته في المدينة الخربة.

يتميز أسلوب - جنان جاسم - الروائي بعنايته الشديدة بالتفاصيل القادرة على احتواء تجربة كبيرة إلا وهي محنة العراقي المساق قسراً إلى حرب لا يدري لماذا أشعلت، معتمداً على الوصف والسرد بشكل كبير فجاء الحوار شحيحاً ذلك يعود في الأساس لوجهة نظر السارد الملاحق لشخصية محورية واحدة.

هذا الأسلوب يناسب عالم الكاتب المعني بشكلٍ أساسي بعلاقة الشخصية بالعالم الخارجي والمكان وملاحقة حركتها وفعلها دون تحليل لعالمها الداخلي فبدا السرد ورسم المكان والشخصيات أقرب إلى روح فنان تشكيلي منه إلى عالم نفسي، وهذه من أهم ميزات أسلوب - جنان حلاوي - ومن أسرار جماله الآسر.

الرواية وثيقة بالغة الأهمية لفترة مفصلية من تاريخ العراق المعاصر عنت بالأحداث الخارجية ومصائر الشخصية العراقية المعيارية التي ابتلت بمحنة الحرب والسياسة، وهي رواية ميدانية أن صح التعبير بتكريس سردها ووصفها لتفاصيل المكان والبشر في مفاصلها الثلاثة التي افترضتها 1- المدينة زمن الحرب، 2- جبهة الحرب الميدانية، 3- رجال العصابات في الجبل. تعري لصدق تجربتها النصوص التي مجدت قيم الموت والقتل الصادرة في فترة اندلاعها، وهذه إحدى أهم رسائل الرواية في علاقتها المعقدة مع التاريخ.

ثانياً:

"أصغي إلى رمادي"[44] ومحنة العراقي منذ الطفولة

حميد العقابي في نصه الروائي – أصغي إلى رمادي والذي عنونه عنوانا جانبياً (فصول في السيرة) يذهب إلى أبعاد جديدة من تجربة العراقي الذي يهرب من جبهات الحرب، إذ يتأمل

تجاربه في الطفولة، النضج، السوق لجبهة الحرب، الهروب عبر الثوار في الجبل إلى دول الجوار، حياة معسكرات اللجوء في إيران، ثم حياة المنفى. فيبدأ النص بسؤال عن معنى الذات ووجودها، إذ يتساءل الكاتب وهو في الطائرة العائدة من دمشق إلى الدنمرك:

ـ هل اكتشفتُ نفسي؟. ما الذي أبغيه؟ حقاً ما الذي يبغيه هذا الكائن الكامن فيّ؟. ما الذي يبغيه الإنسان في حياته؟.

هذه الأسئلة الجوهرية مفتاح النص الذي أمسكه الكاتب وهو يشرع بتدوين تجارب حياتية مرت به في رحلة عذابه الطويلة ابتدأت بطفولة مؤلمة في محلة شعبية بمدينة ـ الكوت ـ جنوب العراق وتحت سلطة أمٍ قوية متسلطة وأب ضعيف مسكين ومراهقة مكبوتة في ظل قيم بيئة شديدة التحفظ، صارمة، ثم خوض التجربة السياسية بالانتماء إلى الحزب الشيوعي العراقي الذي سرعان ما قمعته السلطة بعد تحالف قصير في سبعينيات القرن الماضي. سيخسر أخاه الكبير – مهدي ـ الذي يضيع إلى الأبد في الزنازين. ثم سوقه جندياً في جبهة الحرب مع إيران وأهوال تجربة سائق دبابة عراقي في معارك شرسة، وهروبه إلى إيران عن طريق شمال العراق ليدخل تجربة أكثر مرارة في معسكرات اللاجئين الإيرانية الشبيه بأنظمة السجون. فيذوق المر والويل وسط اللاجئين العراقيين المنسيين في تلك المعسكرات. يحاول الهرب إلى أفغانستان فيقع بأيدي الحركات الأفغانية المسلحة المعارضة لسلطة – كابل ـ الشيوعية آنذاك. ويسلم إلى رجال الحدود الإيرانية لُيُعاد إلى نفس المعسكر بعد فترة سجن. فيظل يحلم ويعمل على الخروج من دوامة إيران المخيفة بالتشبث بمن ينجح في السفر إلى سوريا.. فينجح هو الآخر لكنه لا يمكث فيها سوى ستة أشهر ليسافر بوثيقة مزورة إلى الدنمرك.

قسّمَ الكاتب الرواية إلى اثني عشر فصلاً لها عناوين، وبنية كل فصل لها ثيمتها التي يدور السرد والأحداث حولها، مثلا فصل ـ بزون ـ عن علاقة السارد ورؤيته للأب الضعيف الشخصية الذي يلطم كلما وقع بمطب وما عاناه من زملاء الصف ومعلم الإنكليزي الذي يجعله يجلس تحت الرحلة متسائلاً باللغة الإنكليزية عن مكان وجود القط ومنتظراً جواب التلاميذ

وضحكهم وهم يشيرون نحو قرفصته تحت الرحلة. وتفاصيل هذه الشخصية التي ستكون عاملاً في بلورة مشاعر حقد وعداء نحو المحيط، سيعاني منها السارد لاحقاً، وستطبع سلوكه كما أكتشف هو نفسه لاحقاً أثناء استعادة تلك التجارب بالسرد ففي الفصول الأخرى يتأمل ويحاور مقولة ـ بارت ـ عن تواضع المبدع بينما هو لا يرى في الإنسان لأول وهله إلا العيوب قبل الجوانب الأخرى. سيصبح حاد الطبع، يسخر من الآخرين. وكأنه ينتقم من الحيف والسخرية التي ظلت تلاحقه منذُ الطفولة بسبب أسم أبيه ـ بزون ـ . حتى بلغ به التشفي إلى عدم حضور جنازته رغم سماعه الخبر بل فضل البقاء في بغداد حيث كان يدرس بجامعتها. وكذلك الأمر مع بقية الفصول. عدا أن بعض الفصول تدور حول شخصيات أخرى مهمة لها تجربتها الحياتية ومدلولاتها الرمزية المستقلة عن الكاتب فمثلاً فصل ـ شمعة ـ القابلة الغريبة الأصل العارفة أسرار المحلة وما يدور حولها من أساطير شعبية عن زوارها السريين وكيفية فقدان إحدى عينيها وعن مساعداتها للنسوة الفاقدات أزواجهن في المعتقلات والجبهات في سرد يمزج الواقعة بموروث الحكاية الشعبية تلك الرحلة لشمعة وغورها في الرمل لتولد امرأة أميرة تعيش في باطن الأرض وعودتها وكأنها زارت الحلم، ثم تفاصيل اعتقالها والإفراج عنها وتهكمها على مدير الأمن الذي ولدتهُ خنزيراً، ثم لتتحول باختفائها الغامض إلى رمز من رموز المدينة المنتهكة التي أجبرت خيرة أبنائها على الهجرة.

في مستوى أخر من السرد يتناول في فصل ـ عادل عرس ـ تفاصيل شخصية مأساوية تعرف عليه في معسكر اللاجئين في إيران شخصية حالمة تقرض حياتها في البؤس والحلم في تغيير العالم، تارة بتأليف حزب سياسي يقتصر عليه ولاجئ أخر في المعسكر على طريقة ماركس. ثم السخط على العالم والآخرين الذين أفشلوا المشروع، وتارة في حلم السفر إلى أوربا وكتابة رواية عظيمة ستغير بدورها العالم فيحاول الهرب في أحدى البواخر الراسية في ميناء ـ بندر شاه ـ يختفي هو وصاحبه ثلاثة أيام وعندما يخرج يكتشف أن الباخرة لم تغادر الميناء، فيلقى القبض عليه ويسجن ثمانية أشهر قبل أعادته إلى نفس المعسكر. ثم بعد نجاحه في الوصول إلى الدنمرك يزوره الراوي فيحدثه – عادل - عن روايته التي يعكف على إنجازها لكنه

يموت بالسكتة القلبية في مدينة – ارهوس - الدنمركية، والسارد يروي حكايته وهو يقف بباب المستشفى لاستلام جثته.

في فصل ـ الرسام والفرشاة ـ نتعرف على حكاية الرسام العراقي الشاب الذي التحق بالمقاومة الفلسطينية ليعود بعد مذبحة أيلول الأسود وينتحر بعد معاناة وجودية يجد بها السارد شجاعة تفوق قيمة الشهيد الذي يفني ذاته من أجل فكرة طمعاً في الخلود بالنسبة للمتدين والمجد بالنسبة للمادي. هاتان الشخصيتان هما ظلال السارد الذي يعترف بعجزه المطلق، إذ يسخر طيف الرسام المنتحر بعد أكثر من عشرين سنة من الراوي حينما يجده متزوجاً.

بنية النص مبتكرة حطم فيها السرد المتدرج فالحكاية كلها تأتي كقصة متناثرة في الفصول المستقلة الثيمة والمبنى عدا ذلك التنقل الحر بين الأزمنة كما في الفصل المُتَخيل الأخير المعنون ـ بلييم ـ الذي يتخيل فيه – الكاتب - شيخوخة الحكيم في عودته المتأخرة إلى مدينة الطفولة، أو في تنقله المنساب من لحظة الطائرة في مدخل الفصل الأول ـ المسبحة ـ وهو في طريقه من الدنمرك إلى دمشق إلى تفاصيل معارك جبهة الحرب العراقية الإيرانية التي خاضها كسائق دبابة إلى الطفولة وتفاصيل المراهقة والتلصص على بنت جارهم القصاب التي تُقتل لاحقاً غسلاً للعار. هذه الطلاوة والخفة في التنقل وتحطيم الزمن الفيزيقي جعل من النص فنياً يتطابق مع هدفه كونه نصاً تحليلياً لذات السارد التي كانتها في رحلة استكشاف وهو يراجع الماضي حيث يجد أن بعض الأحداث الصغيرة لها عواقب لم تكن متوقعة وقت حدوثها، وكان لها الأثر الأكبر في بنية الذات وذلك عند تأملها في فعل الكتابة وهي تسجل تغييرات النفس حينما تمر من الطفولة إلى المراهقة والنضج، ثم الكهولة، كتابة السيرة لا تقدم صورة ثابتة لحياة كاتبها، إذ أن الأحداث التي سردها ـ الراوي ـ تتغير قيمتها وفعلها حينما ينظر إليها في خريف العمر. فالسارد يشعر بالندم بعد أكثر من عشرين عاماً لمشاعر التشفي برحيل أبيه فيشعل شمعة لروحه في صحن السيدة زينب ـ ع ـ بصحبة زوجته ويذرف دمعة.

لغة الكاتب رشيقة بسيطة واضحة وشاعريتها تأتي من غنائية الحالات الإنسانية التي تشكل مادة السرد، أن ما يجعل الكتابة حيوية ليس فقط مراعاتها للغة والنحو كشروط حرفية فحسب

بل من طبيعة انتقاء الأحداث وزاوية نظر السارد التي تقنع القارئ أن ما يسرده من أحداث وتفاصيل تهمه مثل تهم كاتبها وهذا ما فعله حميد العقابي.

ثالثاً: - نجمة البتاوين –[45] توثيق الخراب العراقي بعد الاحتلال

أما شاكر الأنباري فيشترك مع جنان حلاوي وحميد العقابي بالتيمة نفسها والمواضيع نفسها وبرؤية متقاربة لكن لها خصوصيتها.

في روايته الأخيرة "نجمة البتاوين" يخوض الروائي في أجواء بغداد زمن احتدام الحرب الطائفية أعوام 2006 – 2008 وسيادة سلطة المليشيات، من خلال اختيار مجموعة شخوص من الوسط الصحفي والثقافي يلتقون في شقة مستأجرة في - البتاوين - وسط بغداد يدعونها – النجمة – يلتقون فيها للحوار والشرب وممارسة الجنس مع عاهرة تدعى – أحلام – عادت تزور الشقة بانتظام، والشخصيات هي الشخصية المحورية – زاهر- وهو صحفي وكاتب عاد من المنفى عقب الاحتلال متزوج من سورية ولديهما طفل يسكن مشتمل مستأجر في شارع فلسطين، وعمران مهندس أصبح مقاولا متحمسا للوضع الجديد متزوج ولديه عشيقة يستأجر لها شقة في – البياع – وهو صديق – زاهر - من أيام دراستهما الجامعية، و - أبو حسن - صاحب مكتبة في – شارع المتنبي، و - علي محمد أمين - شاعر وصحفي صعلوك يَحِلْ زاهر مَحلهُ في تحرير الصفحة الأخيرة من جريدة – السلام – التي أسسها – سعيد عبد الكريم – الذي عمل معه - زاهر - في دمشق قبل الاحتلال، و - ربيع المحمدي - مصحح متزوج عمل أبان الحصار زمن الدكتاتور في ليبيا واليمن، مما أمّنَ له بيتا، لديه أبن في الدنمرك، وأخر في أربيل خوفا من القتل الطائفي. وشخصية – سهى – صحفية عراقية تعمل معهم في القسم والجميع يشتهيها.

يمهد الروائي في الفصل الأول بادئا من لحظة اختطاف عمران من قبل المجاميع المسلحة، ومقتل – أبو حسن – في تفجير شارع المتنبي الشهير فيرسم صورة شاملة للوضع في بغداد

ولأحوال المجموعة مرصعة بتأملات في الشر الناهض من التاريخ الدموي العراقي ومضاعفات العنف الذي رسخ في نفس – زاهر- وهو يرى قتلى الحرس القومي 1963 الذين جلبوهم إلى قريته دون أن يعرف سببا لذلك الموت ص11، فيقوم بتأمل الشخصية العراقية ومحاولة معرفة أسباب تحولها إلى شخصية همجية تقبل على القتل والاختطاف والسلب عازيا ذلك إلى تراكمات الحقد والآثار النفسية لرؤية القتل والإعدامات في حروب الدكتاتور، وفقدان أبسط مستلزمات الحياة زمن الاحتلال، العمل والخدمات ص12

بين مدخل النص وخاتمته يأخذنا السارد إلى عوالم بغداد وتفاصيل أمكنتها الخربة في زمن النص، واصفاً في مقاطع طويلة أحوال شارع الرشيد والسعدون والبتاوين، مستعيناً بما كُتِب عن بغداد وشوارعها في الكتب. فوفرَّ هذا التوظيف عمقاً تاريخياً للأماكن التي يصفها الراوي. والنص في العموم مهموم بوصف الأمكنة وتفاصيلها الصغيرة وهي سمة عامة لجهد الكاتب في تجربته الإبداعية.

ولما كان النص مهموما ومكتوبا، من أجل الإحاطة بما يجري في بغداد، وقت القتل على الهوية، والتي عمل الاحتلال الأمريكي على ترسخيها، تمهيدا لبناء العراق الطائفي الجديد، فقد تكررت الكثير من الأوصاف والسرد، المعني بالخراب من أوساخ وذباب وتهّدم الجدران، مما جعلها تنأى عن تصوير التفاصيل النفسية للشخصيات.

من التفاصيل المهمة الكاشفة لطبيعة الرجل العراقي ونظرته إلى المرأة، علاقة زاهر، ومحمد، وربيع بزميلتهم – سهى - النموذج المتنور للعراقية المقاومة لمحاولة تكبيلها، صحفية ناجحة ترفض ارتداء الحجاب ومهددة من قبل المليشيات المتشددة بحيث يخشى زملاؤها الخروج معها في مهمات عمل. رغم أفكار التنوير التي تلهج بها المجموعة طوال النص، والموقف من الاحتلال وقوى الظلام، ورغم حديثها عما تعانيه المرأة العراقية إلا أن الثلاثة يحاولون الإيقاع بها. - ربيع - المتزوج والأكبر سناً تبلغ مدى شهوته حدود انتهاكها في مخيلته؛ إذ يقوم بممارسة العادة السرية في تواليت الصحيفة عليها مرة، وأثناء سكره في الغرفة المجاورة لزوجته، و – علي - الشاعر لا يختلف عن ربيع بشيء، أما – زاهر – فيلعب لعبة أكثر حذقا

فيقوم باستدراجها ليضاجعها في مكتب صديقه المقاول – عمران -، وهذا الحادث يكشف جانبا أخر من وضع المرأة العراقية المأساوي والشائع سرا إذ يتبين أن - سهى – غير عذراء. هذه الناحية في النص أجدها مهمة جدا تكشف الجانب البشع والمعتم لشخصية الرجل العراقي والذي يفسر طبيعة المجرم والقاتل، ففقدان الضمير والشعور بالإثم من أهم الأسباب التي تمكن القاتل من قتل ضحيته دون الشعور بالإثم، وبهذا المعنى فـ - زاهر- هو أيضاً قاتل بامتياز، فهو لم يشعر بالإثم مطلقا لمضاجعته – سهى - بل كان حريصا على عدم التعلق بها، واعتبارها أداة متعة. وكان حريصا على أن لا يختل نظام حياته كما يفعل القتلة والخاطفون، الذين لهم حياتهم العائلية الطبيعية، وهذا ما صوره لنا تقرير - عمران - عن ظروف خطفه والأمكنة التي حلّ فيها، حيث حُجِز في بيت فيه أطفال وامرأة تخبز يعني حياة تجرى على سجيتها.

بنى الروائي كما ذكرت روايته على حبكة تقرير عمران الذي أخبرنا في جملة النص الافتتاحية (أختطف عمران المهندس في الخريف) ولم يخبر القارئ بتفاصيل التقرير الذي حمله معه وهو في طريقه إلى دمشق إلا في الفصل الرابع عشر.

العلاقة بين شخصيات الرواية بدت باهتة لا عمق فيها، فمقدار الألم الذي خلفه مقتل جليسهم صاحب المكتبة – أبو حسن – واختطاف – عمران – كان عاديا لا فاجعة فيه وكأنه جرى لغريبين وهذا يشي بأمرين:

الأول؛ أن العلاقات التي نشأت في هذا الوضع الشاذ ليست حميمة وليس فيها صداقة وعمق وهذا ما أفضى إلى ردة الفعل الباردة تلك، والثاني؛ إلى فقدان الشخصية المحورية – زاهر – لصداقات حميمة كما يصرح في جملة تعبر عن خلاصة تجربته بكون البيوت مثل الصداقات تخرب وتتبدل وهو مفهوم غير مطلق بل يخص طبيعة السارد وموقفه في الحياة (فالصداقات مثل البيوت، كلما اكتملت في مكان سرعان ما تخرب، وتبنى في مكان أخر، سلسلة) ص16.

لكن ألا يعبر ذلك الموقف عن طبيعة الخراب الروحي العميق الذي أصاب العراقي في معمعة الحروب والقتل طوال نصف قرن؟.

وما أصاب العراقي المنفي من خراب داخلي ظهر جليا ببرودته وأنانيته من خلال سلوكه طوال رحلة النص؟!.

– نجمة البتاوين - من الأعمال المهمة المكتوبة زمن الاحتلال الأمريكي وتعد سجلاً تفصيليا وثقت فظائع فترة وجيزة في التاريخ العراقي المعاصر تعتبر من أشد فتراته قسوة.

رابعاً: كم بدت السماء قريبة[46]؛ الحرب خربت كل شيء

رغم وفرة النصوص العراقية المكتوبة عن الحرب، لكن نادراً ما نقع على نص يحيط بحياة العراقي اليومية وقتها. غالبية النصوص خاضت في تفاصيل ما يجري في جبهات القتال أو مدن التماس، يتساوى في ذلك النصوص التي كتبها كتاب السلطة لتسوق فكرة الحرب وتمجيدها، أو النصوص التي كتبها جيل من الكتاب هرب من جبهات الحرب إلى الثوار في الجبل أو إلى دول الجوار كما تشترك تلك النصوص في الشخصية القصصية حيث تكون في أغلبها رجال يساقون جنوداً إلى الجبهات فيستبسلون في المعارك من زاوية كتاب السلطة، أو يهربون أو يموتون مقهورين من زاوية الكتاب الرافضين للحرب. تأتي الحرب في نص "بتول الخضيري" لا من جبهات القتال، ولا مدن التماس، وليس على لسان رجل بل على لسان امرأة تعيش في العاصمة "بغداد" وتراقب بعين محايدة دقيقة جملة التغيرات التي أحدثتها الحرب في نفسها والناس والعلاقات والأشياء، في نص مكثف وشامل صور بعمق وشجن، ما كانت عليه الأمور قبل الحرب وما صارت إليه أثنائها وبعدها.

الحكاية الروائية تأتي على لسان فتاة تسرد سيرتها الذاتية من الطفولة حتى سن النضج. ومن خلال هذه الرحلة نتعرف على حياتها العائلية المضطربة، فهي بنت لأب عراقي أقترن في فترة دراسته بإنكلترا بأمها الإنكليزية التي تهاجر لتعيش معه في بيت وسط مزرعة في الزعفرانية بضواحي بغداد، حيث قضت فترة طفولتها قبل الحرب.

يشكل بيت المزرعة القسم الأول من هيكل النص وبنيته المشيدة على ثلاثة أمكنة وأزمنة مختلفة ومفصلية. يشغل قسم "الطفولة ـ المزرعة"، قبل نشوب الحرب، الفصلين الأول والثاني. ومن خلالهما نقع على تيمة جوهرية من تيم النص الكثيرة ألا وهي: ذات الطفلة التي تتجاذبها ثقافتان. غربية من جهة الأم التي تحاول أن تطبعها على العادات الإنكليزية، بينما يحاول الأب العراقي تربيتها على التقاليد العراقية، فيشتد الصراع بينهما، مشادات وعراك، وحيرة الطفلة بين الأب والأم. يظهر ميل الطفلة إلى الأب فالسرد يبدأ بضمير المخاطب موجهاً إلى الأب وكأن النص رسالة له، كما أنها تتعلق بطفلة "خدوجة" من أطفال الفلاحين العاملين في المزرعة والساكنين في بيوت من الطين على ضفة دجلة، تقضي معها معظم وقتها بعد المدرسة، فنتعرف على تفاصيل طفولة لاهية جميلة وسط الحقول، صيد الحشرات، قطف ثمار الأشجار، أغاني طفولة عراقية غناها كل طفل في طفولته، حكايات شعبية خرافية تحكيها جدة "خدوجة" في غرف الطين، يتحول النص في كثير من مفاصلة إلى قطعة سردية غنائية عذبة عن طفولة العراقي تتقاطع في مونتاج محسوب بدقة مع ما يجري في البيت من تفاصيل مضطربة يتجاذبها الأم والأب، ترصد من خلالها تدهور العلاقة بين والديها، فالخلافات تبلورت حول كل شيء الملابس والسلوك وطريقة الأكل وتربية الطفلة، مما أورث العلاقة المزيد من البرودة، وجعل الأب ينشغل بالعمل كلياً، فتتفاقم عزلة الأم فتبدأ بالميل إلى أصدقائها الإنكليز العاملين في شركة نفط بالبصرة "ديفيد" و "أميلي". بوادر الخراب على مستوى اجتماعي نفسي تجلت بثلاثة أحداث مؤثرة أسهمت في غرس الحزن والخيبة بروح الطفلة، إصابة الأب بمرض القلب، واكتشافها عند عودتها من المدرسة خيانة أمها مع "ديفيد" في المخزن عندما أطلت من شباك صغير قرب سقفه، فرأتهما يتضاجعان في مشهد صورته بشكل مؤثر (ص52). وموت صديقة طفولتها "خدوجه" بمرض "البلهارزيا".

يشكل القسم الثاني ـ التقسيم افتراضي ـ الهيكل الوسطي والرئيسي للنص يمتد من الفصل الثالث (ص61) إلى الفصل السادس (ص152). ويبدأ بالمكان الثاني في النص، بيت وسط بغداد في جانب "الرصافة"، وفيه تبلغ الراوية سن المراهقة وتدخل مدرسة رقص البالية،

وتتوطد علاقتها بأبيها الذي يشركها في عمله كخبير مطيبات، بينما تزداد الأم عزلة وتعمل في شركة الخطوط الجوية اللبنانية. وتبدي رغبتها بالطلاق، لكن الأب يطلب منها الصبر حتى تكمل بنتهما الإعدادية في تيمه جوهرية تميز طبيعة الثقافتين الغربية والشرقية في نظرتهما إلى العائلة، فالأولى تضع الذات فوق العلاقة العائلية، والثانية بالعكس تماماً. كما أن الحرب مع إيران تبدأ. والنص في هذا القسم سجل حي ودقيق لما جرى خلف جبهات القتال من إجراءات ومتاعب للناس مرصودة بعين ذكية حيادية منحته نكهة خاصة. الإعلان الأول للحرب، ارتباك الدارسة في المدارس، عدم النوم بالسطوح، التعبئة الإعلامية. تضمين العديد من البيانات العسكرية العراقية ، أغاني الحرب المذاعة يومياً بتكرار، مقاطع من اتفاقية الحدود مع إيران (ص96) في جسد النص، وصف أوضاع الناس العامة، سلسلة القوانين الجديدة، إجراءات السلطة في تزييف طبيعة الصراع من خلال تغيير الخرائط، تزوير الاتفاقات، وضع منهاج دراسية جديدة، محاضرات توجيه سياسي، ثقافة قومية، وصف صور من المعركة تطل من شاشة التلفزيون، تقنين الغاز، تشجيع الأعراس الجماعية وقت تراجع القوات العراقية. والكاتبة قامت بعملية مونتاج دقيقة، إذ داخلت أجواء الحرب هذه في السرد بطريقة محسوبة النسب مع حركة الشخصية المحورية المشغولة بتفاصيل حياتها ووجودها الاجتماعي المأزوم في بيت يزداد اضطرابا مع تدهور صحة الأب، انشغال الأم بالعمل وعلاقتها شبه العلنية بـ "ديفيد"، وحياتها في مدرسة البالية التي نطل من خلالها على شخصيات جديدة في النص، معلمة الرقص التي سيكون لها دور كبير في حياة الراوية فعن طريقها ستتعرف على النحات "سليم" فتقع في أول علاقة حب. وزملاؤها في مدرسة البالية، "أحمد" الذي يعمل عصراً كسائق تكسي نافذة تطل منه الساردة على أوضاع الناس، "فاروق" الراقص، سارة والبنات التوأم. تصور الساردة طقوس الرقص في منحى دلالي يعمق فعل النص من خلال ملاحقة حركة الرقص ومعاناة الراقص ساعة الأداء مع نص بيان عسكري يصف العمليات العسكرية، كما أنها تداخل بين موت أبيها وإصابة أمها بسرطان الثدي وبين سير المعارك المحتدمة في الجبهة، فمثلاً في (ص127) ينتقل السرد مرتين بين معاناة والدتها وأخبار المعارك. أما

مصائر هذه الشخصيات فمأساوية، البنات الراقصات يعملن خياطات في معمل بعد غلق المدرسة، وأحمد وفاروق يساقان إلى جبهات القتال، أما الساردة فتنقل إلى مدرسة أهلية لتدرس اللغة الإنكليزية، وتتطور علاقتها بسليم النحات المثقف إلى علاقة حب عنيفة، تذوق معه تجربتها الجسدية الأولى، وتجد به نقطة ضوء في عالمها المعتم الكئيب، لكنه هو الآخر يساق إلى جبهات الحرب فينتابه اليأس شاعراً بعدم جدوى الفن والحياة، فيخوض معها حواراً يخلص فيه إلى " هذه الحرب جعلتني أفكر لماذا أنحت؟. لم أعد أسأل لماذا نعيش ولماذا نموت. هذا النوع من التساؤلات يرافق سنوات الحرب الأولى فقط. فبعد أن أفقنا من الصدمة، تبلور اليقين بأنه عجلة من نار لا مفر منها. والآن أجدني أبحث عن خدعتي. هل أستطيع أن أفلت بنحتي؟"(ص135). عن طريق هذه الشخصية توظف الراوية النحت وجسد الإنسان كبعد أخر يضاف إلى بعد الرقص في مدلول رمزي يشي بقداسة هذا الجسد وأبعاده في الكتلة والحركة والمعروض برخص على شاشة التلفزيون ممزقاً مطحوناً في برنامج يومي "صور من المعركة". هذه العلاقة مصيرها الخراب أيضاً، إذ يحطم في لقاء أخير مخلوقاته النحتية ويقوم بمضاجعتها بعنف في الحمام وعلى الطاولة قبل أن ينهار باكياً. تتوقف الحرب في هذا القسم فتقرر السفر مع أمها التي قلعوا في عملية إحدى ثدييها، بينما يقرر سليم البقاء في العراق.

في القسم الثالث القصير تنتقل الراوية إلى مكان جديد مختلف تماماً، شقة ببناية وسط لندن تشرف على تقاطع طرق تعيش فيها شبه وحيدة بعد أن يتفاقم السرطان في جسد أمها فترقد في المستشفى. وهنا تبدأ معاناة من نوع أخر، معاناة وجودية من وحشة الغربة والوجود، تجعلها تتأمل معنى الموت والحياة، وهي ترى أمها تذوي رويداً.. رويداً في الألم، وإلى جوارها يغادر مرضى السرطان الواحد بعد الأخر. فتقترب من فلسفة العبث الذي كان كامناً في نفسها منذُ طفولتها وفقدانها لـ "خدوجه" وأبيها وأمها ومدرستها وحبيبها، ثم وطنها الذي يطل عليه النص أيضاً في حربه الجديد بعد احتلال الكويت وما أعقبه من حرب وحصار من خلال متابعة الراوية للأخبار في محطات التلفزيون، ولاحقاً من رسائل معلمة الرقص التي تنقل تفاصيل ما

آلت إليه أوضاع الناس في زمن الحصار. فيدفعها اليأس والقنوط إلى إقامة علاقة جسدية بأحد الأفارقة "أرنو" تتعرف عليه في مقهى يلتقي فيه الأجانب. وتحمل منه، لكنها تكتشف أنه متزوج في بلده. لينتهي النص بموت الأم وقيامها بعملية إجهاض وشحوب علاقتها بمعارفها في العراق. إذ تنخرط في رتابة حياة الغرب.

شخصيات - كم بدت السماء قريبة - لها ميزة خاصة ومختلفة عن غالبية النصوص المكتوبة عن الحرب فهي تود العيش في العراق وتستسلم لمصيرها بقدرية فتذهب إلى الحرب وتبقى إلى نهايتها متوقعة القتل في أية لحظة، وليس في نيتها المقاومة رغم عدم قناعتها بالحرب، وهذه الشخصية تمثل الغالبية العظمى من العراقيين الذين خاضوا الحرب الطويلة مع إيران.

التاريخ العراقى كميدان بحث فى الرواية العراقية

نتناول هنا نمطاً أخر من الروايات التي اتخذت من التاريخ العراقي ميداناً وهي لا تختلف عن الروايات المستقاة من السيرة التي عرضنا لبعضها من حيث تناولها تيمة العنف والموت، لكن هذه الروايات حاولت محاكاة التاريخ العراقي وترتيب سرد روائي فني يحاول الوصول إلى علة ما يحدث ورسم تلك المعاناة التي يدفع ثمنها العراقي المسالم التي تعصف به السياسة والأطماع بأرضه بما تختزنه من ثروات جلبت له البؤس وعدم الاستقرار والعنف الذي سرعان ما تحول من عنف وقتل في المعتقلات والسجون زمن الدكتاتور إلى عنف وقتل يومي في الشوارع والبيوت والمقاهي زمن الاحتلال الأمريكي وسلطات الطوائف في السنين التسع الأخيرة.

أولاً: -

حافة القيامة ــ[47] وبحث فنى فى طبيعة الدكتاتورية فى العراق

حاول (زهير الجزائري) في نصه " حافة القيامة" البحث فنيا في طبيعة الدكتاتورية العراقية المحلية متوجا بحثه الأرشيفي عن ماهيتها وكيفية ترسخ سلطتها وآلية تلك السلطة في تسييرها لشأنها الداخلي عبر دراسات موثقة جمعها مؤخرا في كتابه – المستبد ــ[48]، بنص روائي

يتتبع الكيفية التي بنت فيه سلطتها، من سلطة انقلابات عسكرية هشة ومتكررة إلى سلطة ديكتاتورية شديدة التركيز تخضع لفكرة رجل واحد لم يكن عسكرياً، يقرر كل شيء. وهذه السمة تنفرد فيها التجربة العراقية وما شابهها في المنطقة وتميزها كذلك عن مثيلاتها في أمريكا اللاتينية.

نسج الروائي نصه بتمهل مبتدئاً بمتابعة الشخصية المحورية ـ وهاب ـ التي بدت هامشية في الفصول الأولى فهو قروي يأتي إلى المدينة ويسكن مع أبن عمه "مجيد" الضابط في القصر الجمهوري "مجيد" ليتعرف عن طريقة على حلقة العسكريين المتآمرين الذين يوظفونه، كقاتل مأجور ينفذ عمليات الاغتيال للشخصيات السياسية والعسكرية المناوئة؛ أول عملية ينفذها صبيحة انقلاب عسكري، فيسجن بعد فشل الانقلاب، ومن داخل السجن تبدأ رحلته بخدمة العقيد الذي سيهرب لاحقاً ويتمكن من القفز إلى كرسي الرئاسة بالدخول إلى القصر الجمهوري بطلقة دبابة وبعض الرصاصات هذه المرة.

خيوط السرد مرتبة على ثلاثة مسارات يتنقل بينها السارد في فصول قصيرة غير مرقمة؛

الخيط الأول وهو الرئيسي والأكثر حظاً في التفاصيل يجمع العقيد المسيطر على مقاليد السلطة بعد الانقلاب ومساعده القاتل المحترف "وهاب" الذي يتطور من مجرد قاتل وخادم في السجن إلى المساعد الأول للعقيد ومشرف على أجهزة القمع، الشرطة السرية والاستخبارات العسكرية مضاف إلى تشكيله أجهزته الخاصة، و "يعقوب" الشرطي السري الذي يظل على دوره باختلاف السلطات. فرغم انه يدرب "وهاب" ويساعده في ترتب خبرته وبلورتها إلا أنه يظل في موقعه كرمز للشرطة السرية اليد الخفية الحارسة لأنظمة الحكم الديكتاتورية، و "سلطان" الرجل العسكري الغامض الذي نفذَّ الانقلاب بشكل عملي وأتى بالعقيد إلى الحكم، وقد عرضه النص زاهداً في الكرسي الأول ومدلهاً بالمباهج والملذات، "علاقته مع عشيقته الصغيرة"، والراقصة "بوسي" التي تقوم بمساعدة الانقلابيين بدعوة رجال الحكم السابق للسهر في بيتها ليلة تنفيذ الانقلاب.

الخيط الثاني للسرد يذهب إلى تفاصيل الضحايا وهم الطرف الأخر في الصراع، السجين "صادق" اليساري وحبيب "جمانة" التي تتحمل ضغوط عائلتها، أخوتها، أزواج أخواتها العسكريين كي تتخلى عنه لكنها تضعف مع طول فترة مكوثه في السجن، فتضطر إلى ذلك بعد أن تعمل سكرتيرة للعقيد وزوجة له لاحقاً وهو الشيخ العاجز جنسياً، فيستحوذ عليها في المراحل الأخيرة "وهاب" لتتحول إلى رمز الضمير الجمعي المغتصب، والكاتب "وليد" وهو المثقف الذي يقع في تجاذب بين ضميره وما تريده السلطات، وشخصيات أقل أهمية كإسماعيل وخليل السجينين اليساريين في خلافاتهما حول أساليب النضال وطرق الوصول إلى السلطة والظروف الطبقية وما إلى ذلك من التفسيرات الماركسية اللفظية التي لم تفعل فعلها في حياة النص وتطوراته، في ترميز لشحوب دور المعارضة اليسارية في تلك الظروف الاستثنائية التي أتت بسلطة الدكتاتور، من هزيمة عسكرية وجفاف ومجاعة وبطالة وتمرد عسكري في الجبال، واضرابات طلابية في الجامعات.

الخيط الثالث للسرد يتابع السيد الحائري وأولاده وهو رمز للتيار الديني الذي لم يتغيب عن ساحة الصراع السياسي بل كان فاعلاً في فترة ما قبل الانقلاب العسكري حسب النص والواقع.

الخيوط السردية الثلاثة يتتبعها الراوي العليم مستخدماً الضمير الثالث في سرده المحسوب النسب والأوقات في تنقله من خيط إلى خيط. تنعقد خيوط السرد في العلاقة المتبادلة في عملية الصراع السياسي والاجتماعي، فالعقيد ووهاب في دأبهم لترسيخ السلطة وتركيزها يقمعون المعارضة بشقيها اليساري والديني. "جمانة" حبيبة أو زوجة "صادق" السجين اليساري تصبح عقب الانقلاب زوجة العقيد وسكرتيرته. ويتحول يعقوب باعتباره رجل أمن وعين السلطة في المدينة إلى رابط بين العديد من الرموز في النص بعلاقته بالمثقفين وتجمعاتهم في البارات والنوادي الثقافية. وفي علاقة رجل الدين باعتباره رمزاً لسلطة شعبية أخلاقية يدخل في صراع مباشر مع "بوسي" الراقصة التي لها موقع خاص في علاقتها بشخصيات السلطة من عسكر ووزراء، ومحاولة اغتيالها التي لم يفصح عمن قام بها، وفي الزيارة السرية التي تقوم

بها الراقصة إلى الحائري لتحذره من المساس بها (ص95)، كما تنعقد العلاقة بين الطرف الديني والسلطة من خلال الجذب والشد في علاقتهما بعامة الناس، وكذلك في أيمان العقيد الديني المضطرب والحائر بين السلطة والخوف من الله. في هذه الشبكة المعقدة من العلاقات والصراع يتتبع الراوي "وهاب" وهو يتسلق خطوة.. خطوة وبدقة ناسجاً خيوطه حول العقيد وأجهزة السلطة من خلال سهره ودأبه في الحضور والزيارات المفاجئة ليتحول إلى ظلٍ يحوم حول رؤوس المسئولين وعينٍ وحيدة يرى العقيد الدنيا من خلالها، فيرتب أمور الخصوم واحداً بعد الأخر في تصفيات دموية طالت المعارضة اليسارية الضعيفة، والدينية باغتيال الشيخ الحائري، والتخلص من بوسي الراقصة بعد نفاد دورها، ثم التخلص من المعارضة القوية التي تهدده من داخل السلطة متمثلةً بوزير الدفاع – سلطان - الذي يرتب له تهمة التآمر هو ومجموعة كبيرة من شخصيات السلطة، مما يتيح له مع تفاقم مرض العقيد وخرفه إلى الانفراد بالسلطة بتنحية العقيد والاستيلاء على جمانة والكرسي محولاً السلطة إلى طبيعة فريدة تختلف حتى عن أعتى الديكتاتوريات العسكرية. فالشخص الأول ليس عسكرياً وإنما قروي فاشل دراسياً، وقاتل مأجور وخادم تمرس في الشر وسط المتآمرين، ونزع ضميره رويداً.. رويداً متخلصاً مع إمعانه في القتل من أي تأنيب أو إحساس بالذنب.

يمهد الكاتب ثلث النص لعرض الظروف والشخصيات والأوضاع قبيل الانقلاب العسكري، وما يجري في الخفاء من مؤامرات، دسائس، تسلل لأجهزة الدولة، تصفية لبعض الرؤوس في مواقع السلطة الحساسة، وبين صفوف المعارضة اليسارية مشهد اغتيال الطالب اليساري "خالد" على يدي – وهاب - (ص63)، كيفية كسر إضرابات الطلبة وتخريب المظاهرات، وانقسام المعارضة اليسارية إلى قسمين، ليبدأ في(ص104) بتقديم بانوروما لليلة الانقلاب، إذ ينقطع التيار الكهربائي ليتنقل السرد بين السجن والحائري وبيت بوسي ومشهد الانقلابيين الساهرين إلى لحظة دخول القصر الجمهوري ليتركز السرد على العقيد الذي حلم طوال سنين باللحظة هذه. في الثلثين المتبقيين من النص ـ 303 ـ صفحة يتابع السارد الكيفية التي تركزت فيها السلطة بين يدي العقيد أولاً، ثم "وهاب" الذي أحكم قبضته على كل شيء.

المادة الروائية الخام محض سياسية مباشرة إلا أن الروائي تمكن من بناء رواية تخلو تماماً من المباشرة الفجة بلغته الغنية والمنتقاة بدقة تناسب الحالة الإنسانية وطبيعة المشهد سواء أكان وصفياً أم سردياً. كما أن الجملة مكتوبة باقتصاد شديد، أقصد بذلك أنها تخلو من الاستطراد غير الضروري، كما أن تقسيم النص إلى فصول قصيرة مختزلة أكسب النص ميزة سهولة القراءة ومتابعة الحبكات المتلاحقة لشخوص النص. كما أن بناء شخصيات النص بأبعادها الإنسانية دون انحياز كونها ذوات بشرية تتجاذبها نوازع الخير والشر. فحتى أقسى الشخوص وأكثرهم دموية "وهاب" مبني بشكلٍ حي دون تعسف ونظره أيديولوجية مسبقة، مما أتاح للقارئ الإحساس بخلجاتها واضطرابها وهي تتأمل الضحية المنشغلة بشأنها، وهي تفشل في أول محاولة اغتيال (ص61)، أو بنية شخصية "يعقوب" رجل الشرطة السرية بأبعاده الاجتماعية ولحظاته الإنسانية، والتي تمارس القمع بشكلٍ فعلي، على سبيل المثال تأملات "يعقوب" وهو يطلق سراح السجين "صادق" الذي توسطت له "جمانة" لدى زوجها العقيد. فيأخذه في جولة بأنحاء المدينة متأملاً هذا الكائن الذي قضى سبع سنوات سجن وذاق صنوف التعذيب، والمرض وخسر زوجته " أكتشف أنه لا يحمل له أية كراهية رغم ما بينهما من حروب، فما فعله ضده كان بحكم المهنة وضرورات السلطة التي هي بالصدفة بين يديه الآن، وبالتأكيد سيفعل هو الآخر الشيء نفسه لو كان في موقعه" (ص164)، كما أن الراوي العليم يغور في العالم الداخلي لشخصيات النص مصوراً كوابيسها وأحلامها أثناء النوم، أي لا يكتفي في تأملاتها الشاردة وقت اليقظة. كوابيس رجل الدين الحائري ورؤياه بدخول العالم السفلي المصوغة بلغة روائية لاهثة تناسب جو الكابوس (ص244). أو حلم العقيد ورؤيته لمقتل الحائري قبل أن يأمر وهاب بتنفيذ الاغتيال (ص249). أو كوابيس العقيد المريض في عزلته بمزرعته، وأثناء زياراته ضريح الهادي وقت خلوه من الزوار (ص271). هذا الاستخدام المكثف يستغل أبعاداً أخرى من أبعاد الوجود إلا وهو عالم اللا وعي حيث تتشكل الكثير من أبعاد الشخصية الإنسانية هناك، ما ذكرناه أكسب النص وشخوصه حيوية وكأننا أمام شخوص

لغوية تحولت إلى كائنات من لحم ودم نتعاطف معها بشغف ونحس معاناتها سواء أكانت شريرة أم خيرة.

رغم أن الكاتب تحاشي تشخيص المكان والزمان في النص، ولا ادري لم فعل ذلك، إذ كان من الممكن تسمية الأمكنة بأسمائها دون أن يؤثر ذلك على فنيته. رغم ذلك فالتفاصيل توحي بالمكان بوضوح، طبيعة البيئة الموصوفة ومفردات الأمكنة والأشياء في النص تكاد تتطابق مع العاصمة بغداد، وطبيعة شخصية العقيد وسماته ومصيره توحي تماماً بمصير "أحمد حسن البكر- رئيس جمهورية العراق للفترة ما بين 1968-1979 - " وشخصية "وهاب" وسماته ونمط تفكيره والكيفية التي تسلسل فيها وأستحوذ على الحكم توحي بشخصية " صدام حسين – رئيس جمهوري العراق 1979-2003 -". وجملة الأوضاع قبل الانقلاب، الهزيمة العسكرية في حرب حزيران 1967 مع إسرائيل. وما أعقبها من اهتزاز السلطات القومية القائمة وردود فعل الشارع العربي بصعود مد يساري قوي في العراق، تكلل بانشقاق الحزب الشيوعي العراقي إلى قيادة مركزية قادت حركة كفاح مسلح فاشلة في أهوار الجنوب، ولجنة مركزية تحالفت مع السلطة لاحقاً. ثم الإشارة إلى التمرد الكردي في شمال العراق، وموقف السيد الحائري يكاد يوحي أيضاً بموقف التيار الشيعي ومرجعيته في النجف، مما أعطي للنص نكهة التجربة العراقية الفريدة في طبيعة السلطة وتفسير الكثير من دموية رجالها الذين ترعرعوا في مدرسة "وهاب" العريقة بالتنكيل والإرهاب والقتل.

ثانياً: -

عراقيون أجناب –[48] والبحث في طبيعة الصراع الدموي في ريف العراق الحديث

تمثل رواية (فيصل عبد الحسن) – عراقيون أجناب – نموذجاً حياً يؤكد ما ذهبنا إليه في معرض تحديد سمات كل من الرواية المكتوبة تحت ظروف الدكتاتور وفي ظروف الحرية في المنفى، فالكاتب سبق له أن كتب روايات تعبوية زمن الحرب العراقية الإيرانية وفازت إحدى رواياته -- أقصى الجنوب[49] - بجائزة رواية الحرب، لكنه حينما أضطر وبسبب الحصار الاقتصادي إلى مغادرة العراق والعيش في المغرب كتب بشكل مغاير تماما.

تصلح روايته (عراقيون أجناب) نموذجا متقدماً للرواية العراقية من حيث طبيعة موضوعها وبنيتها وصوغها الفني، فالرواية العراقية تفتقر إلى عالم القرية، ويشكل صدورها ولادة ناضجة لرواية القرية العراقية فهي تصور عالم القرية ونبضها السري غائرة في تفاصيل بشرها المنسيين، تشابك علاقاتهم في بيئة القرية الاجتماعية والدينية، علاقتهم مع المدينة والسلطة المركزية وذلك من خلال بحثها في الحكايات الشفاهية والمكان الريفي وتجليات الإرث الديني في المخيلة الشعبية.

يستهل الكاتب سرده بصورة قلميه مستلة من كتاب صادر حديثاً عن الأمام علي بن أبي طالب كما يذكر الهامش ـ أعتقد أن الصورة المذكورة مستلة بدورها من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ـ في مقطعٍ صغير مستقل يرتبط ارتباطاً عضوياً ببنية النص. فسوف نرى تجليات الذات الموصوف شكلها على زمن الرواية وبشرها وترابها وطقوسها. الصورة تصل للقارئ من خلال عيني طفل يتابع تفاصيل صورة الأمام الشائعة في الجنوب والتي يكاد لا يخلو جدار بيتٍ منها، بطلعته المهيبة وسط ولديه وتحت قدميه يربض أسد عظيم الحجم. في مفصلٍ تمهيدي لاحق يصور الراوي مشهداً مثيولوجياً من طقوس الشيعة حينما يعثرون على طامورة تحت الأرض تضم رفات أحفاد الأمام الذين كان – الأمويون - يسجنونهم فيها حتى الموت اختناقاً، يصف الراوي المشهد الدرامي والفلاحون يلمون البقايا من مسبحة وعمامة وأردية سوداء وسط نحيبهم ونواحهم ولطمهم إلى أن يتحول المكان إلى مزار من مزارات الشيعة المقدسة المنتشرة بأرجاء العراق. هذان المشهدان يمهدان فنياً وفكرياً للدخول في غور بشر تلك القرى المنسية على حافة الهور وفي أعماقه. يعرض النص في فصوله الأولى جريان الحياة الاجتماعية والصراع بين القيم أعراف القرية مع واقع ورغبات الإنسان ونزواته في فترة سابقة لتبلور الصراع السياسي الدموي الذي عصف بالمجتمع العراقي عقب انقلاب تموز 1958 وانعكاسه المخرب عفوية حياة العراقيين عموماً وجنوب العراق زمن النص ومكانه، تلك العفوية الوديعة وطبيعتها الجميلة رغم قسوتها وتخلفها وبدائية معتقداتها الدينية الممزوجة بالخرافة، ذلك السلام الروحي ستفتقده شخوص النص إلى الأبد .

يشتغل النص على بعدين من أبعاد انعكاس الموروث الديني على أرواح الفلاحين:

البعد الأول؛ ذلك الذي تثيره روايات المقتل في مجالس العزاء الحسينية المقامة على مدار العام لوفرة مناسبات مقاتل الطالبين الموزعة على فصوله، والتي تصل أوجها في ذكرى مقتل الحسين في العاشر من محرم حيث تقام طقوس حزنٍ دموية من اللطم على الصدور العارية حد الإدماء إلى ضرب الظهور العارية بسلاسلٍ من الحديد وضرب الرأس المحلوق بالسيف. يصور النص تفاصيل هذه الطقوس التي تقام كل عام في القرية مباشرة عقب إعادة تمثيل مذبحة كربلاء أمام الجمهور، يضاف إليها سرد الحكاية التاريخية المتداولة من على المنابر الحسينية والتي تأخذ بدورها مسارات سردية تختلف حسب مخيلة راوي المنبر ومزاوجتها بما يحدث من مظالم شبيهة في حاضر القرية زمن النص في سبعينيات القرن العشرين.

البعد الثاني؛ يتمثل في انعكاس الروايات الدينية المتناقلة شفاهاً في مخيلة المرأة الفلاحة التي تنسج بدورها حكايات يمتزج فيها الموروث الشيعي بالموروث الخرافي الموغل في القدم. نجد في الفصل ـ 5 ـ الجدات تسرد للأحفاد قبيل النوم حكايات عن أيام النكبات الطبيعية، الجراد الذي هجم ملتهماً كل شيء والإمام علي يظهر لنجدة شيعته الجياع، عن عودة الموتى الصالحين في الأعياد والمواسم حاملين من دار البقاء الرسائل والوصايا والبخور والعطور، عن السيد ـ مهنا ـ وسفره الغامض في عمق الأهوار لإيداع تبرعات الشيعة السنوية في مكان مسحور يسمونه ـ الحفيظ ـ فيلج من كوة مجهولة إلى باطن له جغرافية مختلفة فيها بحيرات وجبال وكهوف تؤدي إلى مكان الكنز المخفي لحين ظهور ـ المهدي المنتظر ـ ليعينه على النصر على الأعور الدجال الفصل ـ 21 ـ .

من ناحية أخرى اشتغل النص على موروث خرافي سابق لمرحلة الأديان السماوية من خلال بيئة قرية في الأهوار ـ الدبن ـ وسكانها – المعدان ـ المعتمدين على الصيد وتربية الجاموس والذين يُعّدون في الكثير من الدراسات بقايا السومريين الذين أقاموا قبل التاريخ في الجوار اليابس ولجئوا إلى عمق الأهوار حفاظاً على الكينونة وقت تدهور دولتهم التي انقرضت لاحقاً، فالعامل الديني لديهم ضعيف بالمقارنة مع قرى اليابسة ويوضح النص ذلك من خلال اختلاف

موقع رجل الدين في كلا المكانين. فبخلاف موقع ـ مهنا ـ رجل الدين وسلطته الروحية في قرية ـ الجوابر ـ المعتمدة على الزراعة والقريبة من المدن نجد ضعف وهزال دور – السيد ـ المنتدب من الحوزة في النجف إلى قرية المعدان حيث يكاد أن لا يجد ما يسد به رمقه مما يجعل الشيخ يقدم له الطعام شفقةً لا واجباً. يعرض النص لبقايا طقوس شبه وثنية تمارس في هذه القرى منها ما جاء في الفصل ـ 22 ـ عن رحلة الزوجات العواقر في ثلاثة مشاحيف نحو معبدٍ قديم قائم في أعماق الأهوار طلباً للخصب في طقوس تمت بصلة لطقوس الخصب في حضارة وادي الرافدين القديمة. يطل القارئ على مشهدٍ لا ينسى والشابة المأخوذة تحشر وسط الأدعية والبسملة في شقٍ ضيقٍ حد العنق لِتُغتصب في العتمة على إيقاع أدعية النسوة المستنجدات بالأئمة الأطهار! ص 97 . هذا الطقس الوثني شديد الاندماج ببيئة النص وبشره ينجح في توظيف طقس من طقوس بلاد الرافدين القديمة بطريقة تمت للحاضر بصلة عضوية عكس الكثير من النصوص التي حاولت توظيف نفس الموروث فسقطت بالتجريد الذهني والتاريخي فكانت النصوص عسيرة القراءة رغم جودة أدائها الفني، يحيل هذا الطقس إلى طقسٍ مشابه يمارس في بعض قرى صعيد مصر بترك العاقر في معبد قديم طلبا للخصب كما تناولته بعض الروايات المصرية والأفلام.

من ناحية أخرى يسجل النص ويرسم عالم القرية وعلاقته بفترة محددة من تاريخ العراق المعاصر، فمن بين فصول الرواية الـ 60 تابع السارد تطور شخصية ابن قرية الجوابر ـ جاسم العطية ـ في 26 فصلاً، الذي عاش في المدينة لفترة وعاد منها واعيا بالصراع السياسي في المدينة فراح يدعو أبناء قريته إلى الانخراط في تنظيمات الحزب الشيوعي. لابد من الإشارة إلى أن الكاتب أمسك بمفصل حيوي من تاريخ الصراع السياسي في العراق خلال النصف الثاني من القرن العشرين حيث لعب الشيوعيون دوراً بارزاً فيه إذ كانوا طرفاً معارضاً للسلطة الحاكمة، كما كانت شخصية ـ جاسم العطية ـ محورية مكنت الراوي من التحكم بفصول النص بالعودة إليه بين الحين والحين في فصلٍ مستقل. وبسبب سماتها الجديدة المتمثلة باختلاف مفاهيمها ومعتقداتها التي تتناقض تماماً مع معتقدات القرية ستكون هذه

الشخصية نافذة توسع عالم النص من خلال حركتها بين قرية المعدان وقرية الدبن في عمق الأهوار، وما تكتظ به ذاكرتها من تفاصيل الأيام التي قضتها في المدينة بين الرفاق، هذه الفترة التي تقدم تبريراً فنياً مقنعاً للجوء قادة الشيوعيين إلى قرى الأهوار أواخر الستينات. يقتل ـ جاسم العطية ـ دفاعاً عنهم في الفصل الختامي مما يحكم الحبكة فالشخصية المحورية أصبحت النقطة المركزية في المشروع السردي وبنية النص. رغم تعاطف الراوي مع - جاسم العطية - الحالم نلمس سخرية دفينة من محاولته زحزحة ذلك الإرث الروحي الهائل، المتجسد في الطقوس الدينية الممزوجة بالخرافة، الواشمة الطبيعة البشرية والجغرافية، سينتج العديد من المواقف الكوميدية لتصادم القيم الفكرية والمفاهيم النظرية لمفاهيم نشأت في الغرب المتطور مع بيئة النص ومستوى وعي الفلاحين المتخلف، مما يضطره إلى العيش في المنفى ـ قرية الدبن ـ المجاورة.

يتألق – النص - فكرياً من ناصيته الحيادية التي تلقي نظرة موضوعية على الصراع والحياة تفتقر إليها العديد من النصوص الروائية العراقية التي تستقي تيمتها من تفسير أيديولوجي. ذلك أكسب الشخصيات حيوية وجعلها حية، ففي الوقت الذي سوف نسخر من محاولات - جاسم العطية - وأفكاره سنحبه ونتألم لعذابه ومقتله.

في مقابل هذه الشخصية الديناميكية في النص والتاريخ العراقي المعاصر نجد شخصية ـ شرهان قاطع ـ ابن نفس القرية المنتمي إلى حزب السلطة – البعث - قومية التوجه وهي شخصية مكروهة، شاحبة في المحيط الاجتماعي تفرض نفسها بالقوة، مراوحة بين تهديد وترغيب في محاولتها إجبار الفلاحين على الانتماء إلى الحزب ويساعد الجيش في حملة تسفير قسم من سكان القرية بحجة التبعية الإيرانية عقب نجاح الثورة الإيرانية 1979.

أشيد هيكل النص على هيئة فصول قصيرة غالباً وتطول حسب منطق الحدث وموضوعة السرد، بلغ عددها الـ 60 . تستقي الفصول أو المشاهد منطقها الحكائي من الحكاية الشفوية المتناسلة في المخيلة الشعبية سواء المنسوجة منها من الموروث الديني الشيعي أو الموروث الخرافي السابق لظهور الأديان السماوية. أما الأحداث الملاحقة لتطورات الواقع الاجتماعي

والنفسي والسياسي في الفترة التي تناولها النص فمبنية وفق رؤية ومخيلة وتصور الفلاحين الذين يمنحون أي حدث عابر مبالغةً تناسب مخيلتهم فأقترب السرد من الحكاية الشفاهية وموروثها الديني والخرافي. الحكايات رتبت في هيكل النص بشكلٍ يتناسب مع الخيط السري الرابط لحبكة النص ، إذ يبدأ في الفصول الأولى بوصف حياة ومعتقدات الفلاحين وطبيعة المكان الذي سوف تجري الأحداث فيفرد الراوي فصولاً مستقلة لوصف المكان فقط وكأنه عين كاميرا سينمائية تصور بانورما جغرافية للمكان قبل الدخول في الأحداث، هذا ما نجده في الفصل الافتتاحي الممهد للدخول في طقوس الشيعة، وفي الفصل ـ 12 ـ التي يشرح فيها كيف يبني سكان الأهوار جباشاتهم العائمة وسط الماء كتمهيد لدخول القارئ مع - جاسم العطية - الهارب من قريته بسبب أفكاره الشيوعية الغريبة على معتقداتهم وحياتهم الاجتماعية البدائية حيث لا يوجد جائع لتكافلهم القبلي. هنا أصل إلى استنتاج مغاير لما توصل إليه الناقد المغربي د. عبد الله سفيان(51).

أستخدم الكاتب في السرد الضمير الثالث المناسب لبنية عملٍ تتناسل فيه الحكاية تناسل حكايات ألف ليلة وليلة. فشهرزاد في سردها المتسلسل تقول عن آخرين وتستخدم ضمائرهم عندما يروون تجربتهم. نجد هذه التقنية في الفصل ـ 21 ـ رحلة السيد مهنا بصحبة أبيه إلى مكان حفظ كنوز الشيعة في عمق الأهوار، فالراوي هنا هو – مهنا - رجل الدين الذي يرحل بنا عبر كوة جباشه وسط الهور إلى جغرافية مختلفة حيث بحيرات وجبال وكهوف لنكتشف في نهاية الفصل بأن الحكاية مجرد تهويمات ذاكرة طاعن في السن في رحلة مفترضة مع والده إلى ذلك الموقع الخرافة.

لا تقبل مثل هذه البنية الروائية سوى لغة بسيطة، لغة تستعير من السرد الشفاهي روحها، ومن موروث السرد العربي في ألف ليلة وليلة تركيب جملته البسيطة، لكنها ترسم المشهد مجسداً بتفاصيله وكأن القارئ يلمس حيوات النص بأصابعه . ففي خضم دراما الأحداث المتلاحقة يصاب شيخ المعدان بالعنة في زيارته الأولى إلى البصرة ومحاصرته من قبل الشرطة في

بيت البغاء عندما يقضي ليلته وسط العاهرات اللواتي يتناوبنه لحدود القرف والعنة، فتصاب زوجاته الثلاث بالحيرة وهن محتدمات في ليل الغريزة ص 141

سأتوقف هنا بسبب محدودية المساحة المتاحة، وهنا لابد من ذكر العديد من المحاور والثيمات الجديدة التي طرحتها نصوص روائية عراقية مهمة، محور سؤال الهوية العراقية التي تعرضت وتتعرض للتهديد زمن الاحتلال لدى كل من أنعام كجي جي[52]، وعلي بدر[53]، ومحور وضع الإنسان ومعاناته زمن الحصار، لدى هدية حسين[54] وبتول الخضري[55]، كما أن دراستنا أعرضت عن تناول أعمال مهمة أشبعتها الصحافة والمجلات تناولاً كرواية – المسرات والأوجاع[56] – للراحل فؤاد التكرلي، وروايات فاضل العزاوي[57].

الخلاصة

تميزت التجربة العراقية عن مثيلاتها في الوطن العربي بسبب طبيعة التطورات السياسية والاجتماعية في تاريخ العراق الحديث منذ نشوء دولته 1921؛ صراع سياسي دموي، حركات معارضة مسلحة في جبال العراق منذ أربعينيات القرن الماضي، انقلابات عسكرية دموية أدت إلى دكتاتورية دموية قادت إلى حروب دموية وحصار اقتصادي طويل، ثم احتلال، هذه الظروف أدت بدورها إلى تمّيز الرواية العراقية من مثيلاتها في الوطن العربي، إذ أفرزت في ربع القرن الأخير تقسيماً حاداً بين نمطين من السرد؛ الأول مكتوب في ظل الدكتاتورية والثاني مكتوب في ظروف الحرية بالمنفى:

أ - الرواية المكتوبة في ظل الديكتاتورية تميزت بـ:

1- نصوص التجأت إلى الرمز والأسطورة وتاريخ العراق القديم في بنية روائية أضافت أشكال فنية جديدة للسرد العربي لكنها تحاشت الخوض في محنة العراقي في زمنها وقد أشرنا إلى بعضها في معرض بحثنا، إذ لا يسمح الحيز المتاح تناولها بالتحليل.

2 - نصوص بررت ثقافة الحرب في بنية روائية مجدت قيم القتل والعنف أشرنا في البحث إلى مصادرها حيث يمكن للدارس مراجعة تلك المصادر.

3 - نصوص تناولت مناحي الواقع الاجتماعي في زمنها لكنها تحاشت جوهر المعاناة فالتبس السرد والشخصيات ووقعت في الغموض.

4 - تحاشت النصوص بشكل عام الاقتراب من التابوات الثلاثة السياسة والجنس والدين.

ب - الرواية المكتوبة في ظروف الحرية بالمنفى تميّزت بـ:

1 - رسم أبعاد الإنسان العراقي الواقع في ظل الدكتاتورية والحرب بعمق ووضوح مصورةً معاناته، عذابه، خوفه، مقاومته، عناده، خيبته وانكساره.

2 - مراجعة التاريخ العراقي الحديث من خلال نصوص روائية تبحث فيه في محاولة لقراءة تاريخ العنف من خلال بنية العلاقات الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى هذا الحاضر المأساوي.

3 - ظهور بنية روائية جديدة من خلال تراكم نصوص السيرة الروائية التي تميزت بحرارة تجربة كتّابها الذين خاضوا الحرب في الجبهات والتشرد، والصدق في الكتابة مما ولّد نمطا روائيا جديدا في تاريخ الرواية العراقية والعربية يحتاج إلى دراسات متخصصة.

4 - تناول ثيمات جديدة لم تتطرق إليها الرواية العراقية، كمعاناة المنفى، اختلاف الثقافات، مشكلة الهوية، معاناة الجندي في المؤسسة العسكرية العربية بنموذجها العراقي، تجربة النضال المسلح ومعاناة المقاتل في جبال العراق إذ تنفرد هذه التجربة الطويلة كنموذج يكاد يكون وحيد في الوطن العربي في حركة مسلحة قاومت سلطة دكتاتورية محلية وليس احتلالاً أجنبياً، معاناة المرأة الطليعية العراقية التي نشطت في الحركات السياسية، الحفر في بنية المجتمع الأخلاقية وتعرية زيف القيم والأعراف والتقاليد.

5 - النصوص هزّت التابوات الثلاثة الجنس والدين والسياسة.

6 - تنوع الأساليب والصوغ الفني المتراوح بين بنية نص تقليدي إلى بنية نص يخوض في أقصى أشكال التجريب.

1. النخلة والجيران – بيروت 1966
2. خمسة أصوات – بيروت 1967
3. المخاض – بغداد 1974-
4. القربان – بغداد 1975-
5. الوشم – بيروت 1972-
6. القلعة الخامسة – دمشق 1972-
7. الرجع البعيد – بيروت 1980 -
8. يستطيع القارئ الرجوع إلى شهادتي الأدبية المنشورة في جريدة الصباح العراقية في حلقتين يومي 14 – 15 – 2 – 2004 ذكرت فيها بالأسماء كل من كتب نصوصا من هذا النوع، وكذلك كتاب ثقافة العنف في العراق لسلام عبود - دار الجمل – كولونيا – ألمانيا 2002 -
9. بصرياثا – دار المدى - دمشق 1996 -
10. الحافات – دار الشؤون الثقافية - بغداد 1989 –
11. قبل أن يحلق الباشق – دار الشؤون الثقافية بغداد 1990 –
12. الرواق – دار الشؤون الثقافية بغداد 1986.
13. من يفتح باب الطلسم منشورات دار الرشيد بغداد 1982.
14. من يرث الفردوس – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989.
15. خسوف برهان الكتبي – دار ألواح مدريد 2000.
16. بيت على نهر دجلة – دار المدى دمشق 2006.
17. صراخ النوارس – دار الآداب بيروت 1997.
18. روايات طه شبيب الأبجدية الأولى دار فضاءات 2004 وقبلها خمس روايات هي، مقامة الكيروسين – الضفيرة مواء – الحكاية السادسة – مأتم – و – وأد -.
19. روايات أحمد خلف "الخراب الجميل "1980" و "موت الأب"2003 و "حامل الهوى" دار المدى 2005.
20. أ - مقالة د. عبد الله إبراهيم (الرواية العراقية الجديدة / المنفى، الهوية، اليوتوبيا) غيمان مجلة فصلية العدد الثامن – صيف 2009، http://www.ghaiman.net/derasat/issue_08/alrewaya_al3raqia.ht ب - مقال د. زهير شليبة (ظاهرة الكتاب العراقيين في الخارج – جيل نوستولوجيا وجيل دون أساتذة في حلقتين في صحيفة الزمان اللندنية العددين 1709-1710 يومي 14-15 كانون الثاني 2004 ج - مقالة فاطمة المحسن (حدود العالم

المفتوح ونوستالجيا الوطن – رواية المنفى العراقية "السياسي" المبعد يتذكر مكانه) الحياة اللندنية العدد 11539 21 أيلول 1994

21. روايات شاكر الأنباري: أ- الكلمات الساحرات دار الكنوز الأدبية بيروت 1993. ب – ألواح دار المدى دمشق 1996. ج – ليالي الكاكا دار المدى 2002. د. بلاد سعيدة دار تكوين دمشق 2008. هـ - نجمة البتاوين دار المدى2010.

22. روايات جنان جاسم حلاوي: أ- يا كوكتي دار رياض الرئيس بيروت 1991. ب – ليل البلاد دار الآداب بيروت 2001. ج – دروب وغبار دار الآداب 2003. د. أماكن حارة دار الآداب 2006.

23. روايات عالية ممدوح: أ – حبات النفتالين دار الآداب طبعة الآداب بيروت 2000. ب – الغلامة دار الساقي لندن 2000.

24. روايات سلام عبود: أ – أمير الأقحوان مركز الحرف العربي – غوتنبورغ – السويد 1996. ب – ذبابة القيامة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1999.

25. روايات نجم والي: أ – الحرب في حي الطرب – دار صحاري بودابست 1993 ب – مكان أسمه كميت - دار شرقيات القاهرة 1997 ج – تل اللحم - دار ميرميت القاهرة 2005 د – صورة يوسف - المركز الثقافي العربي – بيروت 2005 .

26. زهير الجزائري: - حافة القيامة – دار المدى 1996

27. روايات سليم مطر: أ - امرأة القارورة – رياض الرئيس بيروت 1991. ب – التؤام – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 2001.

28. روايات فاضل العزاوي: أ – آخر الملائكة رياض الريس بيروت 1992. ب – الأسلاف – دار الجمل ألمانيا 2001.

29. روايات حمزة الحسن: أ – سنوات الحريق – دار الكنوز الأدبية 2000. ب – الأعزل مؤسسة الانتشار العربي 2007. ج – عزلة أورستا – دار الكنوز الأدبية بيروت 2001.

30. روايات سنان أنطوان – أ – أعجام دار الآداب بيروت 2004. ب – وحدها شجرة الرمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2010.

31. روايات محمود سعيد: ا: نهايات النهار دار مكتبة الحياة القاهرة 1997 ب: قبل الحب.. بعد الحب دار المدى دمشق1999.

32. روايات برهان الخطيب: أ - الجنائن المغلقة دار بوديوم 2000 ب – بابل الفيحاء دار أوراسيا – السويد.

33. روايات سلام إبراهيم: ا – رؤيا الغائب دار المدى دمشق 1996 ب – الإرسي دار الدار – القاهرة 2008 ج – الحياة لحظة – الدار المصرية اللبنانية 2010 د – في باطن الجحيم مجلة الكلمة الأدبية الألكترونية الشهرية العدد - 48- 2011.

34. عندما تستيقظ الرائحة – دار المدى – دمشق 2006.

35. أقمار عراقية سوداء في السويد – دار المدى – دمشق 2003

36. موطن الأسرار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1999.

37. المحبوبات – دار الساقي – لندن 2007.
38. تحت سماء كوبنهاجن – دار الساقي – لندن 2010.
39. زنقة بن بركه – دار الآداب 1997.
40.
41. الضلع – دار الجمل بغداد – بيروت 2007.
42. الغلامة – دار الساقي – لندن – 2000.
43. التشهي – دار الآداب – بيروت – 2007.
44. ليل البلاد – دار الآداب 2002.
45. أصغي إلى رمادي – دار ينابيع – دمشق 2002.
46. نجمة البتاوين – دار المدى – بغداد 2010.
47. كم بدت السماء قريبة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 1999.
48. حافة القيامة – دار المدى 1996.
49. المستبد – معهد الدراسات الاستراتيجية – بيروت 2006.
50. عراقيون أجناب – الأحمدية للنشر – الدار البيضاء 1999.
51. أقصى الجنوب – دار الشؤون الثقافية – بغداد 1989.
52. قارن الناقد د. عبد الله سفيان بين ـ عراقيون أجناب ـ و ـ وليمة لإعشاب البحر ـ لحيدر حيدر في مقالته المنشورة في القدس العربي بتاريخ 17 ـ 8 ـ 2000 مضخماً في تحليله حدثاً صغيراً في رواية فيصل عبد الحسن يشترك فيه مع رواية ـ حيدر حيدر ـ إلا وهو لجوء مجموعة من الشيوعيين في أواخر الستينات إلى الأهوار لخوض الكفاح المسلح وهذا محور نص الكاتب السوري المعتمد في كتابة نصه على رواية – عبد الأمير الركابي – الناجي من تجربة اليسار المسلحة في الأهوار وما رواه اللاجئين منهم إلى سوريا، فيصل الناقد ـ عبد الله سيفان ـ إلى استنتاج مفاده أن – عراقيون أجناب ـ عبارة عن كولاج رتب دون خبرة كافية للتخلص من رتابة السرد التقليدي، التضخيم المذكور قاده بالإضافة إلى عدم دقة تحليل بنية النص إلى المقارنة بين نصيين مختلفين كلياً بانشغال عالميهما، فنص – عراقيون أجناب – كان مشغولا بالبشر المهمشين المنسيين من شيعة ريف الجنوب العراقي بينما أنشغل نص – وليمة لأعشاب البحر ـ بأجواء النخبة اليسارية العراقية المعزولة والتي خاضت أخر معاركها الخاسرة في الأهوار، ونص فيصل عبد الحسن تناول تلك الحركة المسلحة في وزنها المعقول في الواقع العراقي زمنه التاريخي المعاصر، وزمن توازنات النص أيضاً.
53. الحفيدة الأمريكية – دار النهار – بيروت2008.
54. حارس التبغ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2008.
55. ما بعد الحب – المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2003.
56. غايب – المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2004.
57. المسرات والأوجاع – دار المدى – دمشق 1998.
58. راجع هامش 28.